أساليب التعويض وارضاء الذات لدى الشعراء الصعاليك

مقاربة نفسية

Methods of compensation and self-satisfaction among in The Sa'alik Poets

A Psychological approach

فائزة زيتوني* ،

جامعة قاصدي مرباح ورقلة،

faiza.zitouni@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022.02.10

تاريخ القبول: 2022.02.28

تاريخ النشر: 2022.03.31

Ex PROFESSO

المجلد 07، الرقم01، السنة 2022

ملخص

انبثقت حركة اللصوصية في العصر الجاهلي من نفوس عافت الذل والخنوع للقيود التي فرضتها عليهم القبيلة أو البيئة والظروف السياسية والاجتماعية، فهاموا في الأرض رافعين لواء الثورة والتمرد ضد كل تلك القيود، وهو ما تمليه النفس البشرية متى ما استشعرت الظلم والاضطهاد؛ فكان أن برزت فئة من اللصوص المبدعين اتخذوا من الشعر وموضوعاته متنفسا لهم يعبرون من خلاله عن معاناتهم أثناء سعيهم لإثبات ذواتهم.ولأنّ من أهم مقومات الابداع الشعري لدى الشعراء الصعاليك هي الدوافع النفسية والنوازع الداخلية للذات المقهورة؛ التي وجدت في النظم متنفسا وسبيلا للتفريغ والبوح بل والتعويض عما تعيشه الذات من مكبوتات وآلام وتهميش واقصاء؛ لذا يعتبر الغوص في الأساليب والحيل التي مارسها الصعاليك للترويح عما في نفوسهم من وجع مجالا خصبا ومادة دسمة تستحقّ البحث.

الكلمات المفتاحيّة: الصعاليك؛ المجتمع؛ الاقصاء؛ التعويض؛ الذات.

Abstract

The Sa'alik movement in the pre-Islamic era emerged as a reaction to the oppression and restrictions imposed by the tribe and the social and political environment. The adherents of the Sa'alik movement rebelled against these restrictions by choosing a life of banditry. It was that a group of creative thieves emerged who took poetry. And because one of the most important components of poetic creativity among the Sa'alik poets are the psychological motives and internal impulses of the oppressed self, they have found in poetry a way to express their frustrations and repressed agonies as well as a way to reveal the extent to which they were marginalized. Therefore, an examination of the ways in which these poets to express themselves and their predicaments is a worthy pursuit and deserves the attention of critics because it is a promising area of research.

Keywords: Sa'alik; exclusion; the society; compensation; Self.

Url de la revue :

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/484

* -المؤلف المراسل.

مقدّمة:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، لا يستطيع العيش دون الاحتكاك بغيره من أفراد مجتمعه. كما أن المجتمع لا يمكن أن يتماسك أو تقوم له قائمة أساسا، ما لم تنشأ بين أفراده علاقات تقوم على أداء كلّ فرد لواجباته وحصوله في المقابل على حقوقه. «فالتفاعل يأخذ مجراه ويستمرّ، عندما يتلقى المشتركون شيئا يحتاجونه أو يريدونه من خلال الارتباط ببعضهم البعض» [1]؛ فإذا ما اختلّ هذا التوازن في العلاقات الاجتماعية؛ بحيث يفقد أحد أطرافها حقّه وعزّته ولا يجد قانونا يحفظ له ذلك، عبّر عن حقوقه وآماله بأية طريقة يراها كفيلة بإبلاغ مطالبه لمن يمثلون السلطة العليا في الحيز الاجتماعي الذي يعيش فيه.

وهو ما حدث مع طائفة اللصوص عبر العصور العربية القديمة؛ إذ كانوا يمثلون طبقة الفقراء التي تكدح وتعمل ومع ذلك لا تتمتع بذَرَّة من العيش الكريم، لا لشيء سوى لأنهم وُلدوا فقراء أو لأنّهم من ذوي البشرة السوداء. فكانوا عبيدا محتقرين يمتهنون المهن الشاقّة خدمة للأغنياء الذين يعيشون حياة رغدة مطمئنّة. فلم يجدوا بُدّا من اعتزال قبائلهم وأقوامهم للتّخلّص من ذلك الواقع المرير والسياسة الظالمة التي تحكمهم، واتخذوا من الصحاري والجبال موطنا لهم يستعيضون به عن أوطانهم التي فقدوا فيها أهمّ مُقوِّم لتعزيز الذات وبنائها ألا وهو الاحترام.

نقوم في هذه الدراسة بالإجابة على تساؤلات متناسلة من رحم إشكالية رئيسة هي:

- ما الحيل التعويضية التي لجأ إليها الشعراء الصعاليك للترويح والتعويض النفسي عن النبذ والقِلى والكره الذي مُورس ضدّهم؟ وقبل الخوض في ذلك نتساءل أولاً:
- ماهي الصعلكة؟
- وماهي المفردات التي تدور في نفس فلك المصطلح؟
- ما الدوافع التي أدت بهؤلاء للتصعلك واللصوصية؟

إنّ الهدف الأساس لهذه الدراسة هو اثبات أن الفئة أو الأقلية المنبوذة المهمشة في أي مجتمع كان لا بد وأن لها فرصٌ في الابداع الأدبي الجيد واستحقاق التميز ولن تكون تلك المثبطات سوى دوافع قوية للصدارة والانفراد.

كما تهدف إلى بيان مختلف التجليات النفسية التي احتال بها هؤلاء على الآخر لتفريغ مشحونات الذات وتفريغها في انتاج شعري خلّدوا من خلاله لوحات فنية أدبية راقية ظلت خالدة محفوظة في ذاكرة الثقافة العربية قرونا متلاحقة.

والمؤكد أن المنهج النقدي الذي تقوم عليه هذه الدراسة هوأدوات ومخرجات ومفاهيم منهج التحليل النفسي للنص الأدبي وأحسبه الأنسب لمقاربة نصوص صنعتها ذوات بدل أن يلفها الاحتواء والأمان والتقدير في بيئتها ووسطها عاشت التضييق والاحتقار والطرد أو الخلع جراء عوامل اجتماعية طبقية عديدة أفرزها المجتمع القبلي في العصر الجاهلي وما بعده.

إنّ الإنسان كما تشير الدراسات النفسية كائن يتأثر بواقعه وما يدور حوله يظهر ذلك في سلوكه وكلامه، كما تشير إلى أن الإبداع شكل من أشكال ذلك التأثر والواقع يؤكد أن الشعراء الصعاليك من أكثر الشعراء «تأثرا بواقعهم أو ظروفهم التي قادتهم إلى ظاهرة اللصوصية»[2]؛ فالسبب الذي أدى بأولئك الشعراء إلى ممارسة اللصوصية والسبب الذي أثمر مقطوعاتهم الشعرية وقصائدهم واحد، ألا وهو محاولة إثبات الذات؛ فكلا الفعلين نابع من نفوس حرة تأبى الذل والخنوع للظلم مهما ارتفعت مرتبة الظالم. كما أن الشعر كان متنفسا لهم كلما ضاقت بهم السُّبل أو ضاقت قلوبهم بها وانحسرت في مجتمع لا يقرّ إلّا بالقوة التي جعل منها معيارا للتفاضل والتنافس بين أفراده وقبائله.

I. مفهوم الصعلكة:

لغة:

أخذت لفظة "صعلوك" معاني متعددة في المعاجم ومنها: الفقر والعوز والضمور والهزال وجاء في لسان العرب لابن منظور: «الصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، ولا اعتماد، ومنه قول حاتم طيء

غَنِينا زمانا بالتصعلك والغِنى فكُلاً سقاناه بكأسهما الدَّهرُ»[3].

والمقصود بـ (لا اعتماد) ما يميزهم عن غيرهم من الفقراء؛ إذ رفضوا أن يعيشوا عالةً على أحد أو أن يجعلوا غيرهم من الناس عمادا لهم في حياتهم. كما حملت معاني: اللصوصية والدهاء والاحتيال والفتك: يقول ابن منظور: «وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصّصون ويتصعلكون»[4]، والصعلكة -لغةً- مأخوذة من قولهم: "تصعلكت الإبل" إذا خرجت أوبارها وانجردت، وطرحتها[5]. ومن هذا الأصل اللغوي أصبح الصعلوك هو الفقير الذي تجرد من المال، وانسلخ من جلده الآدمي ودخل في جلد الوحوش الضارية!

وقد حدد الدكتور شوقي ضيف معنى "الصعلوك" لغة بأنه "الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة"، مؤكداً أن هذه اللفظة تجاوزت دلالاتها اللغوية وأخذت معاني أخرى كقطّاع الطرق الذين يقومون بعمليات السلب والنهب. وفي الصحاح يقول الجوهري: صَعالِيكُ العَرَب: ذؤْبانها . وعُروَةُ الصَّعالِيكِ: هو ابْنُ الوَرْد لقِّبَ بهِ لأَنَّه كانَ يَجْمَعُ الفُقَراءَ في حَظِيرَةٍ فيَرزُقُهُم مما يَغْنَمُهُ.

اصطلاحا:

هم فئة مخصوصة في المجتمع العربي تميّزت بطبائع خاصّة مميزة لها، شعارهم الاعتداد بالنفس دون الأهل والقبيلة ووسيلتهم العدوان واحتراف التلصص والفتك لتحقيق مآربهم. والصعاليك جماعة من العرب عاشوا في الصحاري والقفار، يرافقهم الفقر والتشرّد والتمرد، كانوا يُغيرون على البدو والحضر قصد النهب والسلب ثمّ يمضون إلى الصحراء حيث أوكارهم ومخابئهم، ولا يستطيع أحدٌ اللحاق بهم لسرعة عدوهم ولمعرفتهم بطرق الصحراء وأخاديدها، وقد اتّصفوا بالشجاعة والصبر وشدّة التحمل والقوّة والكرم، فكانوا يقتسمون غنائمهم ويساعدون المحتاجين والضعفاء منهم.

يعرفهم حنا الفاخوري بقوله: " أما الصعاليك فهم جماعة من اللصوص انتشروا في الجزيرة العربية، يكسبون العيش بالنهب والسلب، وقد نبذتهم قبائلهم إما لأنّهم كانوا أبناء إماء، أو لأنّهم أتوا أعمال تتنافى وتقاليد تلك القبائل أو تعرضها لأخطار جسيمة، ولما كان الأمر كذلك انقطعت لأولئك الصعاليك كل الصلة بالمجتمع القبلي، وبالعدالة الاجتماعية، ورأوا أنفسهم مجردين من وسائل الحياة المشروعة والنبيلة في بلاد حفلت بالقساوة، وفي مسرح جغرافي لا يعرف إلا الأجواء الجافة، ورأوا من وراء فقرهم وجوعهم الثروات الطائلة في أيدي التجار وسكان الحواضر فزادهم المشهد تمردا ونفورا وراحوا يملؤون الفلوات والجبال والأودية رعبا وهولا، ويرفعون علم الصعلكة عاليا لا يبالون في سبيل غايتهم أكانت وسائلهم مشروعة أم غير مشروعة"[6]. كانت غاراتهم تتركز في المناطق الخصبة يترصّدون قوافل التجار، أما ما يحصلون عليه فكانوا يوزعونه بينهم ويتقاسمونه مع الأهل والأقارب والمحتاجين، وهذا ما جعلهم يتمتعون بشيء من الكرامة والسخاء والروح المعطاءة الإيجابية ويمتلكون أنفس حرّة أبية تأبى الظلم وترفض الضيم. فقد كان لهم «في التلصص قوانين ظريفة مثل عدم سرقة الجيران واتقاء الحرم، وإنما يسرقون من البخلاء والغشاشين والجاحدين للودائع ونحوهم»[7]؛ وهذا دليل على سمو أخلاقهم، وأن ثورتهم ليست إلا مطالبة لما يرونه حقا من حقوقهم، وهو ما جعلهم يحضون بإعجاب الكثيرين واهتمام الأدباء والمؤرخين «فهم ليسوا لصوصا بالمعنى التقليدي الشرير... وإنما هم متمردون أصحاب قضية.. سُدت في وجوههم السبل الشرعية أو المشروعة، فلم يجدوا إلا اللصوصية والشطارة وقطع الطريق سبيلا للتعبير عن أنفسهم»[8].

فالتلصص لم يكن غايتهم وخيارهم، بل وسيلة لم يجدوا غيرها للتعبيرعن معارضتهم للسياسة الظالمة التي تحكمهم، والمجتمع الذي ينتمون إليه. ولم يكن سلبهم في الجاهلية غريبا؛ لأن القبائل كانت تغير الواحدة منها على الأخرى[9]، وما قول زهير ابن أبي سُلمى:

ومنْ لم يَذُدْ عن حَوضِه بسِلاحِه يُهدَّم ومَن لا يظلِمِ النّاس يُظلَمِ

إلا دليلٌ على أن الإغارة كانت نظاما تتبعه القبائل آنذاك لحفظ شرفها ودوام بقائها.

ولما ظهر الإسلام تضاءلت هذه الظاهرة كثيرا، لما جاء به من مساواة بين أفراد المجتمع وتشريع الزكاة لإغاثة الفقراء والمحتاجين، وفي مقابل ذلك إقامته الحدود على السارق وقاطع الطريق[10]، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {المائدة/38}. وقوله صلى الله عليه وسلم: [تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا][(*)] كما وجد هؤلاء الشبان الأقوياء في الجهاد مهنة يستعيضون بها عن التلصص والإغارة، وميدانا لتفجير طاقاتهم. لتعود مرّة أخرى في عصر بني أمية وبقوة، نتيجة تجبر الحكام وتسلّطهم على الرَّعية، حيث كانت تُمنع عنهم الأعطيات وتُجْبى منهم الأموال الطائلة، وخاصة تلك القبائل التي ترفض الخضوع والولاء للدولة الأموية[11].

أما في العصر العباسي، فقد اتخذت اللصوصية أشكالا أخرى متعددة، فلم يعد اللصوص يمثلون أولئك الأشخاص الفارّين من القبيلة أو السجن إلى الصحراء والأماكن الموحشة، بل نزلوا من صَياصيهم لممارسة مهنتهم علانيةً وكسب أرزاقهم بالحيلة والخداع والتسول والعيارة، فأصبح منهم الشُّطار والطفيليون والعيارون والمكدّون[12].

II. مرادفات لفظة صعاليك:

يترادف مصطلح الصعاليك مع مجموعة من المصطلحات الأخرى التي تشير إلى معنى واحد مشترك في المفهوم العرفي الذي تواضع عليه الناس قديما؛ «ذلك أنّ الرواة والمؤرخين القدماء كانوا يطلقون النعوت التي تبدو مترادفة ومتباينة في الوقت نفسه على هؤلاء الشعراء وأمثالهم، واستنادا إلى ما سمعوه عنهم مما كان يتناقله الآخرون، على اختلاف وجهات نظرهم فيهم»[13]، بين ناظر لهم على أنهم عصاة متمردون، ومن يحسبهم شجعانا يرفضون الذّلّ والظلم ويَنشدون الحرّية. ونخصّ بالذكر الشعراء منهم؛ لأنهم كانوا بمثابة الإعلام الذي يتحدث بلسان هذه الطائفة ويدافع عنها ويلفت الأنظار إليها.

وأوّلُ تلك المصطلحات، مصطلح (**اللصوص**) وهو أشهرها وأكثرها تداخلا معه يقال في تعريفهم: «وذؤبان العرب صعاليكها الذين يتلصّصون»[14]، «ويقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذؤبان لأنهم كالذئاب»[15] و«ذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم»[16].

كما نجد لفظة (**الذؤبان**)، وهي في اللغة جمع (ذئب). وقد نُعتوا بها لأنهم يشبهون الذئاب الضالة في طريقة عيشها[17] القائمة على السرعة والاختلاس والتوغل في الصحاري والجبال، إما فرادى أو جماعات كالقطعان، وكلُّ ذلك يحدث ليلا وعلى حين غفلة من الناس.

ومن التسميات أيضا (**الفُتّاك**)، وقد تدحرج هذا المصطلح عند علماء اللغة والأدب قديما بين مدلولين اثنين؛ أوّلُهما السطو وقطع الطريق، والثاني هو الجرأة والشجاعة. على أنه

قليلا ما يُنعت به الرجل وقد أريد به مجرد وصف شجاعتهم وجرأتهم، فهو في أغلب حالاته يُرادُ به تلك الجماعة المتمثلة في اللصوص[18].

ثم إن هذا المعنى (الشجاعة والجرأة) قد يلتقي هو الآخر بمعنى الصعلوك، في كون هذا الأخير يمتاز بالشجاعة التي اتخذها سلاحا في غاراته ومغامراته.

ورابع النعوت التي دخلت في فلك الصعلكة هو: (**الخلعاء**)، ومفردها (**خليع**)، «وغلام خليع بين الخلاعة بالفتح، وهو الذي خلعه أهله فإن جنى عليهم لم يُطلبوا بجنايته... وخُلِع الوالي أي عُزل»[19]. وكان الخلع عادة القبائل مع بعض لأبنائها العابثين أصحاب الجنايات المتكررة التي تمتد حتى توقعَ بين قبائلهم والقبائل الأخرى، بل يصبح ضر هؤلاء أكثر من نفعهم .هذا إن وجدت لهم منفعة .

III .مفهوم أساليب التعويض والدفاع النفسي في منهج التحليل النفسي:

النفس البشرية غامضة ذات أسرار دفينة وسراديب عميقة ومكبوتات وحين يستشعر الفرد أن سلوكه غيرُ مستساغ من قِبَلِ مجتمعه، أو حين يحاول أن يثبت لهذا المجتمع ولنفسه أنّه لا يعاني من أيّة أزمات أو عقد نفسية، نجده يحاول إثبات جدارته بالاحترام _خصوصا إذا تعرّض لنوع من الازدراء أو التحقير_ أو حين يحاول التخفيف من حدّة الشعور بالنقص، مُظهرا أمام الجميع أنّه يتمتع بشخصية سَوِيَّة لا شخصية شاذّة، فإنّه يَلجأُ إلى بعض التبريرات والخدع النّفسية اللاشعورية، تُعرف عند علماء النّفس بالحيل الدّفاعية أو آليات الدّفاع النّفسي.

والحيل الدّفاعية هي «مجموعة من الحيل والأساليب التي يلجأ إليها الأنا في تعامله مع رغبات الهو ورغبات الأنا الأعلى ومتطلبات الواقع حتى يحقق للشخصية توافقها مثل الكبت والإسقاط والتكوين العكسي والتوحّد...»[20]. أي أنّ الفرد يلجأ إلى هذه الحيل، حين لا يستطيع تحقيق رغباته وإشباع دوافعه، وذلك ليتخلّص من التّوتر الذي قد يصيبه نتيجة الصراع بين دوافعه ورغباته وبين القيم والمعايير التي يفرضها المحيط الذي يعيش فيه. وقد وضّح (فرويد) عملية لجوء الفرد إلى الحيل الدفاعية حين حدّد العلاقة القائمة بين مكونات الجهاز النّفسي الثلاثة:[21]

أ- **الأنا:** وهو الجانب النّفسي الذي يواجه العالم الخارجي ويتأثر به.

ب- **الهو:** وهو مجموع النزعات والرّغبات والميول البدائية التي يحتفظ بها الفرد في أعماق نفسه.

ت- **الأنا الأعلى:** ويشير إلى مجموع المعايير والقيم التي يتلقّنها الفرد من العالم الخارجي. فحين يتوسط (الأنا) الصّراعَ بين رغباته التي تُلحُّ في البحث عن إشباع(الهو)، وبين القيم الاجتماعية العليا التي تقيده وتلزمه بالرّضوخ لمعاييرها (الأنا الأعلى)، فإنّه في هذه الحال، يلجأ إلى البحث عن مخارج يحاول من خلالها إرضاء الطرفين وكذا تفادي التوتر الناجم عن ذلك الصراع، والذي قد يؤدي تفاقمه إلى إصابة هذا(الأنا) بالعقدة النفسية.

والحيل الدفاعية تعمل «بصورة آلية لا شعورية غير مقصودة. كما أنها لا تستهدف حلّ الأزمة بقدر ما ترمي إلى الخلاص من التوتر والقلق وتزويد "الأنا" بشيء من الرّاحة الوقتية حتى لا يختلّ توازنه»[22]. وهذه الأساليب والآليات «تشترك جميعُها في عنصر واحد هو إخفاء الصّراع أو الهرب منه بدلا من مواجهته، فيمكن القول: إن وظيفة هذه الحيل هي وقاية الأنا وحمايته مما يحتمل أن يُخلّ توازنه ويؤدّي به إلى التوتر والقلق والاضطراب»[23].

وهذه الحيل لا يُلْجَأُ إليها بهدف حلّ الأزمة، وإنّما بهدف التأقلم معها لضمان تكامل الشخصية وتوافقها. وتُصنّفُ عُموما إلى:[24]

أ- **حيل خِداعية:** وهي التي يحاول (الأنا) من خلالها تبرير سلوكياته أو إنكارها، وكذا الدّفاع عن نفسه وإقناعَها أنّ ما يفعله صحيح. ومنها الكبت والتسامي والتبرير والإسقاط والتكوين العكسي.

ب- **حيل تعويضية:** يحاول الأنا بواسطتها تعويضَ نقصه وحرمانه ليتخلّص بذلك من مشاعر النّقص والدُّونية. ومنها: أحلام اليقظة والتعويض المسرف والتّقمّص.

ولمّا كان الشعراء اللصوص من أكثر النّاس عُرضةً للقلق والخوف والغضب والشعور بالنقص وغيرها من الحالات النفسية، التي يؤدي تفاقُمها إلى اختلال التوازن والتوافق النفسي، وبالتالي الإصابةِ بأزماتٍ نفسية حادّة، فقد اتخذوا من هذه الحيل النفسية ذريعةً تحول بينهم وبين ذلك. لذا حاولنا الوقوف في أشعارهم على بعض الشواهد التي سنمثل بها لكل واحدة من تلك الحيل.

ومن الحيل التي اتخذها الصعاليك سبيلا للإرضاء ذواتهم، وتعويض نقائصها: نذكر:

أ- تعويض الوحدة بالتكتل ورابطة القبيلة والدم برابطة الحِرفة والمصير المشترك:

اشترك الصعاليك في رفضهم للتسلّط والنفاق السياسي والتملق الاجتماعي لقبائلهم، وتعرّف الوحدة على أنها: «شعور الفرد بالعزلة وعدم الانتماء وفقدان الثقة، ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية، وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع.»[25] فتولد لديهم تفاعل مشترك ضمّهم ووحدهم وظلّ مستمرا قائما يجمع بينهم «طالما يجده المشتركون

مجديا، وإذا لم يكن كذلك، تنفصم العلاقات -إلا إذا فرضت استمراريتها- وتتشكل علاقات أخرى أكثر إشباعا»[26]؛ فكانت العلاقة التي تجمعهم ببعض أكثر إرضاءً لذواتهم التواقة للحرية والتمرد فكان من صور تلك العلاقات تكوين عصابات وجماعات يوحّدها المذهب والمصالح المشتركة بين أعضائها. لقد شكّلوا لهم جماعات تتقاسم الآمال والآلام نفسها. فرغم أنهم يقتاتون على النهب والسرقة إلا أن القانون الذي كان يحكمهم هو قانون العدل والمساواة. «وماذا كانوا يفعلون غير هذا وهم يرون قوما في السماء، وقوما في الأرض، قوما يموتون تخمة، وقوما يموتون جوعا ففعلوا بذلك فعل الاشتراكية اليوم، وزادوا عليها أنهم كانوا يأخذون ما يأخذون بالقوة إذ ليس هناك حكومة تنفذ ذلك بالضرائب»[27]؛ حيث أننا نستطيع أن نسمي حركتهم تلك بالاشتراكية غير المنظمة. وكان الصعاليك يكثرون التفاخر بجماعتهم الجديدة ويعتدون بمجتمعهم الوليد من ذلك ما نجده في قول حريث بن عنّاب الطائي يفاخر بنفسه وجماعته فيقول[28]:

إذا ما خَرَجنا خَرَّتِ الأُكْمُ سُجَّدا لِعِزٍّ علا حَيْزومُهُ وعَلاجِمُـهْ
إذا نحْن سِرْنا بين شرق ومغرب تحَرَّك يَقْظانُ التُّرابِ ونـائمُهْ
وتفزَعُ منّا الإنسُ والجنُّ كُلُّهـا ويُشرَبُ مهجورُ المياهِ وعائِمُهْ

فهم رجال أقوياء متى حلُّوا بمكان غشِيَتْه الهيبة وملأوه رُعبا. بل إنّ هيْبتهم تتحرّك لها الأرض بآكامها وترابها ومياهها، وتفزع منهم الإنس والجنّ أجمعين.

ب- تعويض الوقوف على الأطلال بالوقوف على المراقب (الهروب من الماضي إلى المستقبل):

نظم الصعاليك الكثير في شعر المراقب حين يتربصون من بعيد ويخططون للإغارة على ضحاياهم، من ذلك ما نجده عند الشنفرى، الذي يقول:

وَمَرْقَبَةٍ عَنْقاءَ يَقْصُرُ دونَها أَخو الضِّرْوَةِ الرِّجْلُ الْحَفِيُّ الْمُخَفَّفُ
نَعَيْتُ إلى أَدْنى ذُراها وَقَدْ دَنا مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الْحَديقَةِ أَسْدَفُ
فَبِتُّ على حَدِّ الذِّراعَيْنِ مُجْذِيًا كَما يَتَطَوّى الأَزْقَمُ الْمُتَعَطِّفُ
وَلَيْسَ جَهازي غَيْرُ نَعْلَيْنِ أَسْحَقَتْ صُدورُهما مَخْصورَةٌ لا تُخَصَّف
وَضُلَّيَّةٍ، جُرْدٍ وَإِخْلاقِ رَيْطَةٍ إذا أَنْهَجَتْ مِنْ جانِبٍ لا تُكَفَّفُ[29]

إنّ في ارتقائهم إلى أعالي الجبال وقممها يعكس ارتقاء ذواتهم وسمو نفوسهم عن الآخرين، فيتسامى عن ماضيه بل وحاضره ويتطلّع بكل همّة وعزيمة وشموخ إلى المستقبل، فهم لا يديمون البكاء على الأطلال كما فعل شعراء عصرهم ولا يطيلون الالتفات إلى الماضي بل يرفعون رؤوسهم نحو المستقبل ويرصد ما يخبئه لهم من غنائم وظفر.

ج- التسامي عن النقائص الهنّات:

والتسامي هو نوع من: «عمليات التوافق وأساليبه التي يَلجأُ إليها الأنا في حلّه للصّراعات النّفسية التي تقع فيها الشخصية وذلك بأن يقوم بتحويل طاقة دافع مُدان من موضوع أصلي تريد أن توجّه إليه إلى موضوع آخر بديل مقبول اجتماعيا»[30] يقول عروة بن الورد مقارنا بين الصعلوك الهين الذليل المحتاج الكسول الذي تراه منتظرا لأفضال الناس وحسناتهم عليه، وبين الصعلوك المتحرك المتحفز المتمرّد الذي يرى نفسه فوق الناس ويفرض عليهم رهبته وبأسه بالقوة؛ فيقول عن النوع الأوّل[31]:

لحى اللهُ صُعلُوكًا إذَا جنَّ ليلُهُ مُصَافِي المُشَاشِ آلفًا كُلَّ مَجزَرِ
يعُدُّ الغِنَى مِنْ دهرِهِ كُلَّ ليلَةٍ أصابَ قِراهَا مِنْ صدِيقٍ مُيسَّرِ
قَليلَ التماسِ المالِ إلَّا لِنفسِهِ إذَا هوَ أضحى كالعريش المُجوَّرِ
ينَامُ عِشاءً ثمَّ يُصبِحُ قاعِدًا يحُتُّ الحَصَى عَنْ جنبِهِ المُتَعفِّرِ
يُعينُ نساءَ الحيِّ مَا يستعِنَّهُ فيُضْحِي طليحًا كالبعيرِ المُحَسَّرِ

ويقول في الصنف الثاني الذي يفضله ويطمح له دوما أي الصعلوك قوي العزم:

وللهِ صُعلُوكٌ صفيحَةُ وجهِهِ كضوءِ شهابِ القابِسِ المُتَنوِّرِ
مُطلًّا عَلى أَعْدَائِهِ يَزجُرُونَهُ بساحتِهِمْ زجرَ المنيحِ المُشَهَّرِ
وإنْ بَعُدُوا لَا يَأمَنُونَ اقترابَهُ تَشَوُّفَ أهلِ الْغَائِبِ المتنظَّرِ
فذلكَ إنْ يَلقَ المنيةَ يَلقَها حَميدًا وإنْ يسْتَغْنِ يَوْمًا فأَجْدِرِ[32]

ومن أمثلة ذلك قول جعفر بن علبة الحارثي[33]:

أشارَتْ لنا بالكفِّ وهي حزينَةٌ تُوَدِّعُنا إذْ لم يُوَدِّعْ سلامُها
وما أَنْسَ مِ الأشياءَ لا أنْسَ قولها وقدْ زلَّ عن غُرِّ الثّنايا لِثامُها
أما من فِراقِ اليوم بُدٌّ ولا النَّوى بمُجتمعٍ إلا لشَحْطٍ لِمامُها
فلو كنتُ أبكي من فِراقِ صَبابَةٍ لأَذْرَيْتُ عَيْني دمْعَةً لا أُلامُها
ولكنّ لي عيْنًا كَتُومًا بِمَائها جَمُودًا بماءِ الناظِرينَ انسِجامُها

فلما كان بكاء الرّجل عيبا في ذلك الوقت وأمرا قد يَخدِشُ هيبته _خاصّة إذا كان بكاؤه لأجل امرأة_ فإنّ الشاعر رغم توجُّعِه لفراق حبيبته إلا أنّه يتسامى عن البكاء وذَرفِ الدّموع، بإظهار التجلّد والتَّرفُّع عن مثل هذه الأمور التي قد تُحطُّ من شأنه. وفي مثال آخر لحريث بن عنّاب الطائي يقول فيه[34]:

إذا الدِّينُ أَوْدَى بِالفَسادِ فَقُلْ لهُ يَدَعْنَا ورُكْنًا من مَعَدٍّ نُصادِمُهْ
بِبِيضٍ خِفافٍ مُرْهَفاتٍ قَواطِعٍ لِدَاوُدَ فيها أَثْرُهُ وخَواتِمُهْ
إذا ما خَرَجنا خَرَّتِ الأُكْمُ سُجَّدا لِعِزٍّ عَلا حَيْزومُهُ وعَلاجِمُهْ

إذا نحْنُ سِرْنا بين شَرقٍ ومغربٍ تحَرَّك يَقْظانُ التُّرابِ ونـــائمُهْ
وتفزَعُ منّا الإنسُ والجنُّ كُلُّها ويُشرَبُ مهجورُ المياهِ وعائِمُهْ

فاللصوصية سلوك عدواني غير مقبول اجتماعيا وإن كانت له أسبابه، إلا أنّ الشاعر في محاولة منه لتحسين صورة اللص وتحسين هذه الظاهرة، يتسامى بالافتخار بها ليُبعد اللوْمَ عنه ويتخلَّص من تَأنيبِ الضّمير وتأنيب نفسه له. لذلك نجد أنّ الشعراء اللصوص بمثل هذه الأساليب، قد حبّبوا النّاس فيهم وأثاروا إعجاب الكثيرين بهم.

ونجد الشنفرى يلجأ لذكر محاسنه يتغنى بها في القصيدة، وذلك لما يشعر به الصعلوك من نبذ وازدراء من الناس، فيلجأ لحيل الدفاع النفسي، فيسرد محاسنه بشكل متواصل في القصيدة محاولا دفع أي شبهة تثار حول أخلاقه إن كان يُظَنّ أنها السبب في نبذه:

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بَأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ
وَأَغْدو خَمِيصَ البَطْنِ لا يَسْتَفِزُّني إِلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤادٌ مُوَكَّلُ[35]

د- تبرير الاختيارات والسلوكيات الشخصية:

كوسيلة تلجأ إليها النّفس البشرية لتبرّر وتسوّغ سلوك الشخصية أو ميولها أو دوافعها التي لا تلقى قَبولا من المجتمع أو من ضمير الشخصية نفسها، بحيث تقدّم تبريرا تعلّل به السلوك أو الدافع أو الميل المدان، حتى يقتنع الشخص ذاته بينه وبين نفسه ثم يحاول إقناع غيره به حتى لا يكون مَلومًا عليها[36].

وبتعريف آخر: إن التبرير آلية دفاعية تنصّ على محاولة إيجاد تبرير منطقي لأمور من الصّعب تقبلها كما هي؛ حيث تكون منبعا للقلق إن لم تُبرَّر منطقيا. تماما كما يفعل التلميذ حين يلقي اللوم على مدرّسه ليبرّر إخفاقه في دراسته[37].

من ذلك ما دار بين عروة بن الورد[38] وزوجِه سَلْمى التي لامَتْه على تعريض نفسه للهلاك في غاراته التي يشنُّها من أجل فقراء قومه، ويُقدِّم لنا عروةُ تفاصيلَ هذا الحوار الذي يعرض كلٌّ منهما فيه وجهة نظره؛ فالمرأة تتملَّكها حالةٌ من الخوف والقلق يخلقانِ رغبةً قوية في إثناء عروةَ وكفِّه عن تعريض نفسه للهلاك! بينما تظهر من كلماتِ عروةَ وتراكيب عباراته وصورِه حالةُ التبرير والإصرار على الشجاعة والشفقة على قومه، والرغبة في خلود سيرته يقول في مطلع قصيدته المشهورة مخاطبا زوجه:

أقِلِّي عَلَيَّ اللومَ يَا بْنَةَ مُنذرِ ونَامِي فإِنْ لمْ تشتَهِي النومَ فاسهَرِي
ذَرِينِي ونفسِي أُمَّ حَسَّانَ إنَّنِي بهَا قبل أَلَّا أملِكَ البيعَ مُشتَرِي
أحاديثَ تبقَى وَالفَتَى غيرُ خالِدٍ إذَا هُوَ أَمْسَى هَامةً تَحت صَيِّرِ

ذَرِيني أُطَوّفْ فِي البلادِ لعلَّنِي   أُخلِّيك أَو أُغْنِيك عَن سوءِ محضرِ[39]
فإنْ فَازَسهمٌ للمنيَّة لم أكُنْ   جزوعًا وَهل عَن ذَاك من مُتأخِّرِ
وإنْ فازَسهمي كفُّكُمْ عَنْ مَقاعدٍ   لَكُمْ خَلْفَ أدبارِ البُيوتِ ومَنْظَرِ[40]

لقد جاءت مُعظم صور هذه الآلية في أشعار الصعاليك، إمّا في تبرير تلصّصهم وسطوهم أو في تبرير اعتزالهم النّاس وتعويض مجتمعهم البشري بمجتمع حيواني، ومن أمثلة ذلك قول الأحيمر السعديّ[41]:

وإنّي لَأَستحْيِي من الله أن أُرَى   أَطُوفُ بِحَبْلٍ ليس فيه بَعيرُ
وأن أسأَلَ المَرْءَ اللئيمَ بَعيرَهُ   وبُعْرانُ ربِّي في البلاد كثيرُ

فهو يبرّر سرقته وسطوَه على إبل الرّعاة وقوافل التُّجّار، بأنّه مستحٍ من الله أن يقف أمامه بغير بَعير، أو أن يتذلّل بمَدِّ يَدِه إلى الناس يسألهم بُعرانهم. وتبريره هذا جاء لتطمئنّ نفسه إلى أنّ ما يفعله ليس اعتداءً على حقوق الآخرين بقدر ما هو استرجاع لحقوقه. وقول بكر بن النّطّاح الحنفي[42]:

كفى حَزَنًا أنَّ الغِنى مُتَعَذّرٌ   عَلَيَّ وأنّي بالمَكارِمِ مُغرَمُ
فَوَالله ما قَصَّرْتُ في نَيْلِ غايَةٍ   ولكنّني أَسعَى إلَيْها فأُحْرَمُ

حيث يبرّر فقره وعوزه بأنّ الغنى هو من يتعذّر عليه رغم سعيه الحثيث لكسب رزقه، يضاف إلى ذلك أنّه كثير الإنفاق. فكيف برجل هذه حاله أن يكون غنيا؟

هـ- إسقاط نقائصهم على غيرهم:

والاسقاط «حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الشخص عيوبه ومَناقصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها، إلى غيره من النّاس أو الأشياء أو الأقدار.. تنزيها لنفسه وتخفُّفا مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب»[43].فالإسقاط هو أن تنسب وتُسند «ما في نفسك من صفات غير معقولة إلى غيرك من الناس بعد أن تجسمها وتضاعف من شأنها. وبذلك تبدو تصرّفاتك منطقية معقولة»[44]؛ ومن أمثلة الإسقاط: أن يصف شخصٌ ما الناسَ بالقسوة ويتّهمَهم بالتشدّد، في حين أنه هو من يميل إلى ذلك، ويكره في نفسه ذلك الميل، وذلك لألّا تبدو تصرّفاته نقيصة من النقائص.[45] بينما نجد أبا الطّمحان القيني يسقط شعوره بمرارة الاغتراب على ناقته السّريعة، فيقول[46]:

ألا حَنَّتِ المِرْقــالُ وائْتَبَّ رَبُّها   تَذَكَّرُ أوطـــانًا وأَذْكُرُ مَعْشَرِي
ولو عَرَفَتْ صَرْفَ البُيوعِ لَسَرَّهـا   بِمَكَّةَ أنْ تَبْتــاعَ حَمْضًا بإذْخِرِ
أَسَرَّكِ لوْ أنَّـــا بجنبَيْ عُنَيْزَةٍ   وحَمْضٍ وضُمْرانِ الجَنابِ وصَعْتَرِ
إذا شاءَ راعِيها استقَى من وقِيعةٍ   كعَيْنِ الغُرابِ صَفْوُها لم يُكَـدَّرِ

حيث أسقط مشاعر القلق والحنين للأوطان على ناقته التي أضحت تقاسمه كلّ ذلك، لعلّها تحمل عنه بَعضًا من همومه وأحزانه. ويقول حريث بن عنّاب الطّائي في هجاء بني ثُعلٍ مع الرّجل الثعلي الذي أخذ منه المرأة التي أحبّ[47]:

بَنِي ثُعَلٍ أهلَ الخَنا ما حديثُكم   لكم منطقٌ غاوٍ وللناس منطقُ
كأنّكم مِعْزَى قَواصِعُ جِـــرَّةٍ   من العَيِّ أو طيرٌ بِخَفّانَ ينْعِقُ
ديّافِيَّةٌ قُلْفٌ كأَنّ خَطِيــبَهم   سَراةَ الضُّحى في سَلْحِهِ يتَمَطَّقُ

إذْ يُسقِط جامَ غضبه على قبيلة بني ثُعل، مع أنّ مشكلته لم تكن مع القبيلة كلِّها بل مع رجل واحدٍ منها فقط، لكنّه أخذ يهجوها هجاءً لاذعًا ويسلبها أهمّ مقوِّمٍ تعتزُّ به العرب وهو الفصاحة وحسنُ المنطق، وذلك ليتخفّف من غيظه وشعوره بالنّقص الذي سببه له موقفه مع ذلك الرّجل الثّعلي.

و- **تعويض الواقع المر بالوهم وأحلام اليقظة:**

وهي عبارة عن «قصص يرويها الإنسان بنفسه عن نفسه. هي نوع من التفكير الذي لا يتقيّد بالواقع ولا يحفل بالقيود المنطقية والاجتماعية التي تهيمن على التفكير العادي. وتستهدف هذه الأحلام إرضاء رغبات وحاجات لم يستطع الفرد إرضاءها في عالم الواقع»[48]. ومن ذلك ما يرويه وتأبط شراً[49] من المعرك الطاحنة التي دارت بينه وبين المخلوق الخرافي الغول، إذ اختلق أحداثاً عن لقائه بالغول، ومصارعتها، والتغلب عليها؛ ليُعبِّر بذلك عن قوته وشدة فتكه، وقد ذكرها كنوع من التعويض في شعره، كقوله:

ألا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ   بِما لاقَيتُ عِندَ رَحى بِطانِ
بِأَنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي   بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ
فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ   أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني
فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأَهوى   لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني
فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت   صَريعًا لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ[50]

ز- **تعويض التهميش بافتعال المعارك والحروب والفتك فيها والانتقام لكرامتهم:**

من ذلك ما نجده في شعر السُّلَيْك بن السَّلَكَة السعدي[51]. الذي غلب على شعره المُقَطَّعات، وفي معظمه يشير فيه إلى غاراته، وشعره وجداني ارتبط بالواقع، كان يقول الشعر بدون أي مقدمات فنية على عكس ما اعتادته شعراء الجاهلية، من ذلك ما قاله حينما خرَج السليك مع جماعة للغزو، فتركه بعضهم وبقي بصحبته فتيان من بني مقاعس، ولما اقتربوا من بلاد خثعم؛ تاهت ناقة لرجل يدعى صُرد، ما أن شرع في البحث عنها حتى وقع في الأسر، فبادر السليك بمهاجمة آسري صُرد، وتمكن من قهرهم

وانقاذ صاحبه من براثن الأسر، كما نكّل بالقوم، وساق إبلهم، فصوَّر تلك الحادثة في هذه الأبيات:

بَكَى صُردٌ لَمَّا رَأَى الحيَّ أعرَضَت.. مَهَامِهُ رَملٍ دُونَهُم وَسُهُوبُ
وَخَوَّفَهُ رَيبُ الزَّمَانِ وَفَقرُهُ .. بِلاَدَ عَدُوٍ حَاضِرٍ وَجَذُوبُ
ونأيٌ بعيدٌ عَن بِلادِ مُقاعِسٍ .. وَإنَّ مَخَارِيقَ الأُمُورِ تُرِيبُ
فَقُلتُ له لا تَبكِ عَينَكَ إنَّهَا .. قَضِيةُ مَا يُقضَى لَهَا فَتَنُوبُ
سَيَكفيكَ فَقدَ الحَيِّ لَحمٌ مَغَرَّضٌ .. وَمَاء قُدُورٍ في الجفَانِ مَشوبُ[52]

وقول جعفر بن علبة الحارثي واصفا إحدى المعارك :

أَلا لا أُبـالي بعد يومٍ بسحْبَلِ إذا لم أُعذَّبْ أن يجِيئ حِمَامِيَـا
ترَكْتُ بأعْلى سَحْبَلٍ ومَضِيـقِه مُراقَ دَمٍ لا يَبْرَحِ الدَّهْرَ ثَاوِيَـا
شَفَيْتُ به غيْظي وجُرِّبَ موطِني وكان سَناءً آخرَ الدَّهرِ بَاقِيـا
تَركْناهم صَرْعى كأنّ ضَجيجَهم ضَجيجَ دَبَارَى النِّيبِ لاقَتْ مُداوِيَا
شَفَيتُ غَليلِيَ من خُشَيْنَةَ بعدما كَسَوْتُ الهُذَيْلَ المَشْرَفِيَّ اليَمانِيَا[53]

حيث يصور جعفر بن علبة الحارثي مشهدا لإحدى المعارك التي شارك فيها، و كانت بوادي (سحبل)، حيث انقضّ هو و من معه على أعدائهم و أراقوا دمائهم. وما يلفت الأنظار في هذه الأبيات أن جعفر بن علبة كان مزهوا بمشاهدة تلك الجثث وهي غارقة في دمائها تئنّ كما تئنُّ النُّوق المُسِنّة التي أصابتها الدُّبْرَة وهي مرض يصيب الدّابة. فهو يشعر بالنشوة واللذة لتلك المشاهد العنيفة، ويدلل على ذلك تَكراره لعبارة (شفيت غيظي، شفيت غليلي...) التي تشير من جهة ثانية إلى ذلك الدافع الكامن في أعماقه والذي حصل أخيرا على الإشباع، ألا وهو دافع الصراع.

ح- تعويض الوحدة والاقصاء بالارتماء في حضن الطبيعة القاسية:

تمتاز شبه جزيرة العرب موطن الصعاليك بصحاري قاسية جافة قليلة الماء فكانت مهلكة وعرة التضاريس محفوفة بالمخاطر، يتميزون بطباع حادة وخشنة «فطبيعة البيئة...من شأنها أن تخلق القسوة والعنف، ونعني بطبيعة البيئة ناحيتها الطبيعية _بطبيعة أرضها ومناخها_ والاجتماعية والاقتصادية بين الجماعات والقبائل والأفراد»[54]فكانت القسوة والقوة وصلابة الأجسام أهم ميزات للعرب وللشعراء اللصوص بوجه أخصّ. يضاف إلى ذلك أن «طبيعة الأرض بجبالها وقفارها كانت تتيح لهم الحصانة والحماية إلى أوسع مدى»[55]، فهي إذا بيئة تناسب عمل اللصوص وتساعدهم على الاختباء والفرار من مطارديهم. من ذلك قول حريث بن عناب الطائي[56]:

ستمنع مُرّى والشَّمُوسُ أخاهُما إذا حَكَمَ السّلطانُ حكمًا يُضاجِمُهْ

أي إذا حكم عليّ السلطانُ بحكم ظالم يميل فيه عن الحق، سآوي إلى جبل (مُرّى)أو (الشَّمُوس) ليعصمني منه ومن جنوده.

ومن جهة أخرى نجد الصحراء بتضاريسها الوعرة ومناخها المتقلب، أحد المواضيع الشعرية التي مرّر الشاعر اللصّ من خلالها صورا من معاناته وشقائه؛ فكانت رمزا للتيه والتخبط في غياهب المجهول، وحاجزا يحول بينه وبين الوصول إلى مبتغاه «فالصحراء بما فيها من هول وجدب وقفر ليست إلا انعكاسا لجملة من العوائق التي تعترض سبيل تحقيق طموحاته»[57]، فمن أوصافهم لها قول الأحيمر السعدي[58]:

وتَيْهاءَ يَزْوَرُّ القَطَا عن فَلَاتِها إذا عَسْبَلَتْ فوق المِتانِ حَرُورُ

فهو ينعَتها بالتيهاء، لأن المتوغل فيها يتيه ويضِلُّ عن طريقه لشساعتها. ويزيد من صعوبة اجتيازها أنها شديدة الحرارة، حتى إن طيور القطا _وهي طيور تعيش في الصحراء_ لتأنف منها وتزورّ عنها؛ أي تبتعد، لشدة حَرّها.

ط- تعويض الجماعة البشرية (القبيلة) بالاستئناس بالوحوش

يقول الشنفرى[59] عند حديثه عن الوحوش التي اتّخذ منها مجتمعا بديلا:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

فأفراد عائلته الجدد هم: (سيدٌ عملس) بمعنى ذئاب قوية وسريعة، و(أرقط زهلول) أي نمر مرقط، و(عرفاء جيألُ) أي ضبع كثيف الشعر طويل العنق ، وهذا يمثل الثورة على الجماعة البشرية والتمرد على القبيلة، فهو ينسب الذئب والنمر والضبع لنفسه كعائلة تحتويه، إذ اتخذهم أهل وأصدقاء بدلا من أهله الذين نبذوه، يأتمنهم على سره، ويراهم مساندين له إذ لا يؤخذ الجاني منهم بشيء حسب شريعة الغاب! والحيوانات لديهم ترمز إلى المجد والشّرف والقوة، ولأرقى الأوصاف وأجمل التشبيهات، ومن أمثلة ذلك قول الأُحيمَر السعديّ يصف فَرسًا له[60]:

بِأَقَبَّ مُنْصَلِتِ اللِّبانِ كَأَنَّهُ سِيدٌ تَنَصَّلَ مِنْ جُحُورِ سَعَالِي

ي- تعويض الشعور بالخوف وعدم الأمان بالمبالغة في وصف الأسلحة الفتاكة:

فهذا الشنفرى اتخذ من أدوات الصيد والقتال كالسيف والقوس التي يحملها رفيق درب يرى فيهم الفائدة عن غيرهم من البشر الذين يسيئون إليه:

وَإِنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِياً بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

ثَلاَثَةُ أصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسَ الْمُتُونِ تَزِينُها   رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ
إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأَنَّها   مُرَزَّأةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ

ليُفهم من ذلك أنهم أبطال شجعان لا يهابون الموت ولا أسبابه. ومن أوصافهم للأسلحة أيضا قول حريث بن عنّاب الطائي[61]:

إذا الدِّينُ أَوْدَى بِالفَسادِ فَقُلْ لهُ   يَدَعْنَا ورُكْنًا من مَعَدٍّ نُصادِمُهْ
بِبِيضٍ خِفافٍ مُرْهَفاتٍ قَواطِعٍ   لِدَاوُدَ فيها أَثْرُهُ وخَواتِمُهْ
وزُرْقٍ كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ   أَثيثٍ خَوافي رِيشِها وقَوادِمُهْ

فسيوفهم حادّة قوية، كأنها من صنع داود عليه السلام، ومعلوم أن نبيّ الله داود كان يجيد صناعة الدُّروع. ورماحهم مَكْسُوة بريش الصقور الجارحة التي هي من أجود الطيور.

ك- الهروب من الفقر والحاجة إلى الأمل والحلم:

لقد شكل الفقر لدى الصعاليك عقدة نفسية، لم تستطع ذواتهم الهروب أو التملص منها، وجاءت نتيجة " الإحساس الشديد بالفقر، فدفعهم ذلك إلى محاولة التعويض عن الشعور بالنقص إلى العمل الدؤوب على أن يصيروا أغنياء"[62] ولو بالاحتيال واللصوصية. إن اعراض الدنيا عنهم ولد في نفوسهم اضطرابا وقلقا نفسيا حاولوا تجاوزه وتخطيه بذوات عفيفة أبية ملؤها الكرامة والكبرياء مثلما حدث مع الأحيمر السعدي، إذ يقول[63]:

تُعَيِّرُنِي الإعْدامَ والبَدْوُ مُعْرِضٌ   وسَيْفي بأموالِ التّجّارِ زَعيمُ

فهو يتعجب منها كيف تعيره الفقر والإملاق، وها هو ذا قادر بسيفه أن يسطوَ على أموال التّجار الذين يمرّون محمَّلين بأموالهم. والمتأمل في شعر الصعاليك يلفت نظره شعورهم الحاد بالفقر " واحساسهم المرير بوقعه على نفوسهم وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم وعجزهم عن الأخذ بنصيبهم من الحياة أو الوقوف معهم على قدم المساواة في معترك الحياة، لا لأنّهم هم أنفسهم عاجزون، لأن مجتمعهم ظلمهم وحرمهم من تلك العدالة الاجتماعية التي يطمح إليها كل فرد"[64]؛ وعليه يكاد يكون تصوير الجوع ومقاساتهم الحرمان والتجرد من الزاد أحد السياط النفسية الشديدة التي طالما علمت على أجسادهم النحيلة وهو القاسم المشترك بينهم جميعا، من ذلك ما يقوله الشنفرى في لاميته:

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُميتَهُ   وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ   عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ
ولولا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ   يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ
وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا   أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أَطْحَلُ[65]

ل- تعويض الظلم والجور والاحتقار بالبعد والاغتراب:

والاغتراب في الشعر «هو حالة من حالات التأزّم تصيب الشاعر؛ نتيجة لعدّة عوامل، منها ما هو بداخل الشاعر، ومنها ما هو خارجي؛ فتؤثر على حالته سواء أكانت الاجتماعية، أم العاطفية، أم النفسية... وتتنوع مظاهر الاغتراب بين الشكوى والقلق، وذم المجتمع والتمرّد، وغيرها»[66]

أي أنّ الاغتراب هو إحدى الأزمات النفسية الحادّة في أشعارهم وعليه لا نجد المعجم الطللي عندهم إلاّ نادراً، وإن كنّا نجد المكان في ضوء جديد، ولا يعني المكان، الطّلل، ولهذا، كان من الصعب أن يطبقوا المعايير الفنية التقليدية (التي تمثّل القبيلة) في شعرهم، لأنهم أصلاً، رافضون للقبيلة كلّها؛ قيمها، وتاريخها، وطقوسها إذا تتبعنا التعبيرات الفنية التي استخدمها الشنفرى ليبث ما يدور بداخله من آلام وشعور بالغربة، فسنجد ارتفاعا في النضج الفني لديه، وإن ابتعد عن الاستقصاء في وصف مال يدور بداخله، إذ يكتفي بالإشارات السريعة التي تجعلنا نعمل الذهن في استخلاص فنيتها، فقد بدأ قصيدة بالنداء صارخا في قومه الذين شعر منهم بالنبذ ولم يجد منهم ما تصبوا إليه نفسه:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إِلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

واختار هذه الصلة "صلة الأمومة"؛ لأنها أقرب الصلات إلى العاطفة والمودة التي يفتقدها الصعلوك طريد الصحاري، "وذلك ليرميهم بالفضيح ويسجل عليهم بالقبيح؛ لأن الأم شأنها الحنوّ والشفقة، وأولادها من شأنهم المحبة والتراحم، وقد خرجوا معه من حيز التصافي إلى حيز التنافي؛ ومن دوافع الاغتراب جفوة القبيلة ومنها ما هو في جور السلطان أو الحاكم. وقد لخّصَها دُوِيرُ بن دؤالة في قوله[67]:

أَسِجْنًا وقَيْدًا واغْترابًا وعُسْرَةً وذكْرَى حَبِيْبٍ إنَّ ذَا لَعَظِيمُ

وإنَّ امرَأً دامَتْ مواثيقُ عَهْدِه على مثل ما لاقَيْتُه لَكرِيمُ

فهو يصف معاناة اللصوص وما يلقونه من ظلم العشيرة والحاكم، من سجن وقيد وإبعاد عن الدّيار والأحباب، هذا بالإضافة إلى فقرهم. وهي هموم لا يقوى على تحمُّلها إلا الكريم القوي الإرادة والعزيمة؛ لما تبعث عليه من قلق وتأزُّم نفسي.

أمّا السمهري العكلي فيدفعه ظلمُ قبيلته له لِأن يتمنى لو أنه من غير قبيلة (عكل)التي لم يرَ خيرا من أهلها صغارِهم وكبارِهم، بل حتى النخبةُ منهم لا يأتون بخير. يقول[68]:

ألا لَيْتَني منْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبيلَتي ولَمْ أدْرِما شُبَّانُ عُكْلٍ وشِيبُها

قُبَبِّلةٌ لا يَقْرَعُ البابَ وَفْدُها بخَيرٍ ولا يَأْتي السَّدادَ خَطِيبُها

في حين يخاطب الخطيم المحرزي قومَه الذين جاروا عليه واحتقروه، بأن له في الأرض منأى ومَغنًى عنهم، وأنه مُرحَّبٌ به في القبائل الأخرى، فإن لم يكن ذاك فسيتّخذ من جبل (المِعا) ذي الأشجار الخضراء العظيمة مأوًى يحفظ له كرامته، فيقول[69]:

بَني ظالم إنْ تَظْلمُـوني فَإنَّني إلى صالحِ الأقْوَامِ غَيْرُ بَغِيضِ
بني ظالم إنْ تَمْنَعُوا فَضْلَ ما بكمْ فإنَّ بِساطي في البلادِ عَريضُ
فإنَّ المِعَا لَمْ يَسْلُب الدَّهْرُ عِزَّهُ به العِلَجانُ المُرْغَيْرُأَرِيضِ

خاتمة:

شعر الصعاليك مصطلحٌ يصف ظاهرة فكرية نفسية اجتماعية أدبية لطائفة من شعراء العصر الجاهلي والاسلامي، عكس نفوسهم الثائرة وسلوكهم الشجاع وشعرهم الرفيع نمطا فكريا واجتماعيا مغايرا لما كان سائدًا في ذلك العصر، فكان من أبرز خصائصهم:

* يمثل شعر الصعاليك من الناحية الفنية خروجا جذريا عن نمطية القصيدة العربية، فشعرهم معظمه مقطوعات قصيرة وليس قصائد كاملة.

* وعلى الرغم من أن مقاصد شعر الصعاليك كلها في تصوير حياتهم وما يعتورها من الإغارة والثورة على الأغنياء وإباحة السرقة والنهب ومناصرة الفقراء، فإنه اهتم بقضايا فئة معينة من ذلك العصر، يرصد واقعها ويعبِّر عن همومها ويتبنى مشكلاتها وينقل ثورتها التعويضية وحيلها النفسية العارمة بسبب ما انتابها من ظلم اجتماعي.

* كانوا يمثلون طبقة الفقراء التي تكدح وتعمل ومع ذلك لا تتمتع بذَرَّة من كرامة، لا لشيء سوى لأنهم وُلدوا فقراء أو لأنّهم من ذوي البشرة السوداء. فكانوا عبيدا محتقرين يمتهنون المهن الشاقّة خدمة للأغنياء الذين يعيشون حياة رغدة مطمئنّة. فلم يجدوا بُدّا من اعتزال قبائلهم وأقوامهم للتّخلّص من ذلك الواقع المرير والسياسة الظالمة التي تحكمهم، واتخذوا من الصحاري والجبال موطنا لهم يستعيضون به عن أوطانهم التي فقدوا فيها أسباب العيش الكريم.

* شعارهم في الحياة التمرد، فقد تمردوا على القبيلة وعلى نمط العيش الجماعي فحضر في شعرهم الأنا الفردي وبقوة كمقابل وبديل للأنا الجمعي أو القبيلة، وكان لانقطاع الصّلة بينهم وبين قبائلهم، مصوّغ لانقطاعهم عنهم فنيا وأدبيا، فتولّد لديهم رؤى مختلفة وموضوعات جديدة جادت بها قرائحهم.

الهوامش:

[1] ويليم و. لامبرت/ وولاس إ. لامبرت؛ علم النفس الاجتماعي، تر. سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1993، ص 178.

[2] وصال قاسم غباش؛ البواعث النفسية في شعر اللصوص حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جامعة القادسية، العراق، 1439هـ/ 2018م، المقدّمة.

[3] لسان العرب؛ مادة (لصص).

[4] ابن منظور: لسان العرب، تنسيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1408هـ، 1988م، مادة (صعلك)، مج: 7، ص: 350.

[5] ينظر: يوسف خليف؛ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف للدراسات الأدبية، ط: 3، ص: 21.

[6] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص: 164- 165.

[7] أحمد أمين؛ الصعلكة والفتوة في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 52.

[8] محمد رجب النجار؛ الشطار والعيارين، حكايات في التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 9.

[9] ينظر: أحمد أمين، المرجع السابق، ص 56.

[10] ينظر: عبد الحليم حفني؛ شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص 94 _ 97.

[*] صحيح الإمام البخاري؛ دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، المجلد الرابع، باب قول الله تعالى والسارق والسارقة...، ص160.

[11] ينظر: محمد نبيل طريفي؛ المصدر السابق، ص 17/16.

[12] ينظر: إبراهيم محمود الصغير؛ شعراء صعاليك لكنهم نبلاء، مجلّة المعرفة، العدد 597، حزيران 2013، ص 19.

[13] ضياء غني لفتة؛ البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، الأردن، 1431هـ/ 2010م، ط 1، ص 31.

[14] الجوهري؛ معجم الصحاح، مادّة (ذأب)، ص 190.

[15] جمال الدين بن منظور؛ معجم لسان العرب، مادّة (ذأب) ص 441.

[16] مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزابادي؛ معجم خزانة الأدب، مادّة (ذأب)، ص 112.

[17] ينظر: المرجع نفسه؛ ص 27.

[18] ينظر: عبد الحليم حفني؛ المرجع السابق، ص21 _ 23.

[19] أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري؛ معجم الصحاح، مادة (خلع)، ص 468.

[20] معجم علم النّفس والتحليل النفسي؛ ص 183.

[21] مصطفى فهمي؛ المرجع السابق، ص 143_ 151.

[22] أحمد عزّت راجح؛ أصول علم النّفس، مرجع سابق، ص 476.

[23] كامل عبد ربه حمدان/ وصال قاسم غباش؛ آليات الدّفاع النّفسي في شعر اللصوص حتى نهاية القرن الثالث الهجري (الإسقاط والتكوين العكسي أنموذجا)، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، العدد 65،2018 ، ص3.

[24] ينظر: أحمد عزّت راجح؛ المرجع السابق، ص 476.

[25] أمينة منصور الحطاب؛ الاغتراب النفسي.. ظاهرة الانسحاب من الحياة الثقافية والاجتماعية، بحث منشور ضمن صحيفة الرأي، الأردن، بتاريخ: 20جانفي2019.

[26] المرجع نفسه، ص 178.

[27] أحمد أمين؛ الصعلكة والفتوة في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 56.

[28] ديوان اللصوص؛ ص 224.

[29] الشنفرى عمرو بن مالك: الديوان، جمعه حققه شرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط:2، 1417هـ/ 1996م، ص: 53.

[30] معجم علم النفس والتحليل النفسي؛ ص 116.

[31] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص: 30.

[32] المفردات: لحى : قبح ولعن * جن ليله : أظلم *المشاش هي العظام اللينة التي تمضغ لاستخراج ما فيها من دسم *المجزر: هو

الموضع الذي تنحر فيه الإبل ونحوها والشرح : يدعو على الصعلوك الخامل بالقبح واللعنة، فهو ينتظر الليل ليذهب إلى أماكن الذبح يبحث عن بقايا العظام اللينة.

[33] محمد نبيل طريفي؛ ديوان اللصوص؛ ص 195.

[34] المصدر نفسه؛ ص 224.

[35] الشنفرى عمرو بن مالك: الديوان، جمعه حققه شرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط:2، 1417هـ/ 1996م، ص: 61.

[36] ينظر: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص88.

[37] ينظر: نور قيسو وآخرون؛ آليات الدفاع النفسي، مجلة الباحثون السوريون، 2019.

[38] هو: عروة بن الورد العبسيُّ، أحد صعاليك العرب وفرسانها المعدودين، كان يُغِير على الأغنياء ويأخذ أموالَهم، لكنه لم يكن يُغير إلا على البخلاء منهم، ولم يكن يأخُذُ أموالهم لنفسه، وإنما ليُوزّعها على الفقراء، وقد أثار هذا الأمرُ إعجابَ البعض، فأثنوا على كرمه وإيثاره وشجاعته.

[39] يا بنة مُنْذِرِ: امرأته سلمى والشرح : يخاطب الشاعر زوجته ابنة منذر(سلمى) قبل مغامرة الاغتراب ملتمسا منها أن تخفف من لومه وتقلل من عتابه، وهو يعرف أنها لن تكف تماماً عن هذه اللوم والعتاب، لأنها في نهاية الأمر محبه له ... ويخيرها بين الراحة في النوم أو مشاركته حياته المليئة بالمغامرة بالقلق بالسهر.

[40] عروة بن الورد: الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1998م، ص: 67- 79.

[41] محمد نبيل طريفي؛ ديوان اللصوص؛ ص 58.

[42] المصدر نفسه؛ ص 131.

[43] أحمد عزّت راجح؛ المرجع السابق، ص 478.

[44] مصطفى فهمي؛ الدّوافع النفسية، المرجع السابق، ص 161.

[45] المرجع نفسه؛ ص 161.

[46] محمد نبيل طريفي؛ ديوان اللصوص؛ ص 317.

[47] ديوان اللصوص؛ ص 223.

[48] أحمد عزت راجح؛ المرجع السابق، ص 481.

[49] هو: ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير الفهمي، شاعر عدَّاء، من فتَّاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، ورث تأبط شرا لونه الأسود من أمه الحرة أخت الشنفرى. اشتُهِرَ تأبط شرا بسرعة عَدْوه، وكان يغزو على رجليه دون أن يستطيع أحد إدراكه واللحاق به، وكانت له المقدرة على ملاحقة الظباء واصطيادها وأكلها.

[50] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص: 324.

[51] السُّلَيْك بن السُّلَكَة السعدي: كان يُلقَّب بالرِّئبال (الأسد أو الليث الضاري) أو بالذِّئب الجريء؛ لأنه اتصف بالجرأة والفتك، وهو: السُّلَيْك بن عمير بن يثربي بن سنان، أبو حَرْب السعدي التميمي، من بني الحارث من تميم، والسُّلَكَة أمه، وهو شاعر جاهلي صعلوك.

[52] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم، مصر، ط: 1، مج: 02، د ت، ص: 468.

[53] ديوان اللصوص، ص 197- 198.

[54] عبد الحليم حفني؛ المرجع السابق، ص 67.

[55] المرجع نفسه؛ ص 71.

[56] محمد نبيل طريفي؛ ديوان اللصوص؛ ص 224.

[57] ديوان اللصوص؛ ص 24.

[58] المصدر نفسه؛ ص 60.

[59] هو ثابت بن أُوَاس بن الحجر الأزدي، توفي عام 70 قبل الهجرة (525م)، وهو صعلوك جاهلي من قبيلة الأزد اليمنية، ويعني اسمه غليظ الشفاه.

[60] محمد نبيل طريفي؛ ديوان اللصوص؛ ص 63.

[61] نفسه؛ ص 224.

[62] يوسف خليف؛ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 32.

[63] ديوان اللصوص؛ ص64.

[64] يوسف خليف؛ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 32.

[65] الشنفرى؛ الديوان، ص: 62- 63.

[66] مصطفى فاروق عبد العليم محمود؛ الاغتراب في شعر ابن أيدمر المستعصمي، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد 34، 2015م، ص 98.

[67] المصدر نفسه؛ ص 255.

[68] محمد نبيل طريفي ؛ ديوان اللصوص؛ ص272.

[69] المصدر نفسه؛ ص 248.

المراجع:

المراجع العربية:

أبو الفرج الأصفهاني؛ (د ت) الأغاني، تح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم، مصر، ط: 1، مج: 02.

أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري؛ (1420هـ/ 1999م)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إيميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

ابن منظور؛ (1408هـ، 1988م)، لسان العرب، تنسيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط:1، مج: 7.

أحمد أمين؛ (2012م)، الصعلكة والفتوة في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

أحمد عزّت راجح؛ (1968)، أصول علم النفس، دار الكاتب العربي، القاهرة، الطبعة السابعة.

البخاري؛ (1422هـ)، صحيح الإمام البخاري؛ دار طوق النجاة، ط1، المجلد الرابع.

حنا الفاخوري؛ (1985)، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل - بيروت.

الشنفرى عمرو بن مالك: (1417هـ/ 1996م)، الديوان، جمعه حققه شرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط:2.

ضياء غني لفتة؛ (1431هـ/ 2010م)، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، الأردن، ط 1 .

عبد الحليم حفني؛ (1987)، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عروة بن الورد؛ (1998م)، الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط.

فرج عبد القادر طه وآخرون؛ (د ت)، معجم علم النفس والتحليل النفسي؛ دار النهضة العربية، بيروت.

مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزابادي؛ (1428هـ/ 2007م)، القاموس المحيط، تقديم: أبو الوفا نصر الهويني، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى.

محمد رجب النجار؛ (د ت)، الشطار والعيارين، حكايات في التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

محمد نبيل طريفي؛ (1425هـ/ 2004م)، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1.

مصطفى فهمي؛ (1955)، الدّوافع النّفسية، دار مصر للطباعة، مصر، الطبعة الثالثة.

وصال قاسم غباش؛ (1439هـ/ 2018م)، البواعث النفسية في شعر اللصوص حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جامعة القادسية، العراق.

يوسف خليف؛ (1978)، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف للدراسات الأدبية، ط: 3.

المراجع المترجمة:

ويليم و. لامبرت/ وولاس إ. لامبرت؛ (1993م)، علم النفس الاجتماعي، تر. سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، ط2.

المجلات والدوريات:

إبراهيم محمود الصغير؛ (حزيران 2013م)، شعراء صعاليك لكنهم نبلاء، مجلّة المعرفة، العدد 597.

أمينة منصور الحطاب؛ (: 20جانفي2019)، الاغتراب النفسي.. ظاهرة الانسحاب من الحياة الثقافية والاجتماعية، بحث منشور ضمن صحيفة الرأي، الأردن.

كامل عبد ربه حمدان/ وصال قاسم غباش؛ (2018م)، آليات الدّفاع النّفسي في شعر اللصوص حتى نهاية القرن الثالث الهجري (الإسقاط والتكوين العكسي أنموذجا)، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، العدد: 65.

مصطفى فاروق عبد العليم محمود؛ (2015م)، الاغتراب في شعر ابن أيدمر المستعصمي، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد 34 .

نور قيسو وآخرون؛ (19 جوان 2019م) آليات الدفاع النفسي، بحث منشور من طرف مجلة الباحثون السوريون .

لنقتبس من المؤلف:

زيتوني، فائزة، «أساليب التعويض وارضاء الذات لدى الشعراء الصعاليك مقاربة نفسية»، المجلد 07، الرقم01، ص ص 305-325، https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4801